الفصل الثالث

الفتوحات الإسلامية
وحقيقة الجهاد وقضية العنف

الفتوحات الإسلامية
وحقيقة الجهاد وقضية العنف

أولاً: هل انتشر الإسلام بالسيف؟

١ - هناك قاعدة أساسية صريحة فى القرآن الكريم بالنسبة للحرية الدينية تقول: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ومن أجل ذلك جعل الإسلام قضية الإيمان أو عدمه من الأمور المرتبطة أساسًا بمشيئة الإنسان نفسه واقتناعه الداخلى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. وقد لفت القرآن الكريم نظر النبى ﷺ إلى هذه الحقيقة، وبيّن له أن عليه تبليغ الدعوة فقط، وأنه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]. ومن ذلك يتضح أن كتاب المسلمين المقدس يرفض رفضًا قاطعًا إكراه أحد على اعتناق الإسلام.

٢ - حدد الإسلام المنهج الذى يتحتم على المسلمين اتّباعه فى الدعوة إلى الإسلام ونشره فى كل مكان. وجاء هذا المنهج فى القرآن الكريم

مستملاً على الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]. وقد وردت فى القرآن الكريم آيات تزيد على مائة وعشرين آية تفيد كلها أن نشر الإسلام أساسه الإقناع الهادئ، والتعليم المجرد، وترك الناس أحرارًا بعد عرض الدعوة عليهم ليقبلوها أو يردوها. وبعد فتح مكة ترك الرسول ﷺ أهلها قائلاً لهم: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**». فلم يكرههم على الإسلام بعد الانتصار الحاسم عليهم [١].

٣- لم يحدث أن أجبر المسلمون يهوديًا أو مسيحيًا على اعتناق الإسلام. ومن هنا كان إعطاء الخليفة الثانى عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس من المسيحيين الأمان «**على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم، لا يضار أحد منهم ولا يرغم بسبب دينه**». كما أن النبى ﷺ قد سجل فى أول دستور للمدينة بعد الهجرة أن اليهود أمة مع المسلمين يشكلون جميعًا المجتمع الجديد فى المدينة، واعترف لهم بحقهم فى البقاء على دينهم.

٤- ترفض المستشرقة الألمانية زيجريد هونكه فى كتابها «**الله مختلف تمامًا**»[٢] مقولة انتشار الإسلام بالسيف وتقول: «لقد لعب التسامح العربى دورًا حاسمًا فى انتشار الإسلام، وذلك على العكس تمامًا من الزعم القائل بأنه قد انتشر بالنار والسيف. وقد أصبح هذا الزعم من الأغاليط الجامدة

(١) راجع: محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام ج١ ص١١٨، ١٢٠ وما بعدها- دار ثابت ١٩٨٣م.

(٢) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية تحت عنوان: «الله ليس كذلك» ونشرته دار الشروق.

ضد الإسلام»، وتقول أيضًا: «لقد كان أتباع الديانات الأخرى- أى المسيحيون واليهود والصابئة والوثنيون- هم الذين ألحوا من تلقاء أنفسهم فى اعتناق الإسلام»[1].

ومن المعروف أن جيوش المسلمين لم تذهب إلى جنوب آسيا أو غرب أفريقيا. وقد انتشر الإسلام هناك عن طريق التجار والمتصوفة المسلمين بعد أن رأى الناس عمليًا سلوكهم وأخلاقهم وحسن معاملاتهم فانجذبوا إليهم وأقبلوا على الإسلام من تلقاء أنفسهم.

ثانيًا: هل كانت الفتوحات الإسلامية استعمارًا؟

١- الفتوحات الإسلامية لم تكن استعمارًا. فالاستعمار- كما عرفناه فى العصر الحديث- كان يقوم بنهب خيرات البلاد المستعمرة وتخريب اقتصادها، وعدم الاهتمام بتنميتها اقتصاديًا وثقافيًا وحضاريًا، ولم يكن ذلك شأن الفتوحات الإسلامية، والتاريخ شاهد على ذلك. فالأندلس- وهى جزء من أوروبا- قد أصبحت بعد الفتح الإسلامى بلادًا مزدهرة على كافة المستويات. وكل مؤرخ منصف يستطيع أن يقارن بينها حينما كان المسلمون فيها وبين غيرها من البلاد الأوروبية حينذاك؛ ليرى مدى التقدم الذى حمله الفتح الإسلامى إليها. وقد كان هذا هو الشأن فى كل مكان

(1) Sigrid Hunke: Allah ist ganz anders.Horizont Verlag 1990.P.42f
راجع أيضًا كتابنا: الإسلام فى مرآة الفكر الغربى ص ١٠٦ وما بعدها- دار الفكر العربى ١٩٩٤م.

دخله المسلمون. والآثار الإسلامية المعمارية والحضارية الباقية شاهدة على ذلك.

٢- الجزية كانت عبارة عن ضريبة يدفعها أهل البلاد المفتوحة نظير قيام الدولة الإسلامية بحمايتهم وتأمينهم والدفاع عنهم. وكان يحدث أنه إذا دخل منهم أحد فى خدمة الجيش الإسلامى فإن الجزية تسقط عنه. ويضرب السير توماس أرنولد فى هذا الصدد مثلاً بقبيلة الجراجمة، وهى قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية، وسالمت المسلمين، وتعهدت أن تكون عونًا لهم، وأن تقاتل معهم فى مغازيهم على شريطة ألا تفرض عليها الجزية[١].

٣- الجهاد فى سبيل الله بهدف الحصول على الغنائم مرفوض فى الإسلام، بل يعد جريمة. وقد سئل النبى ﷺ عن رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضًا من الدنيا - أى يبتغى الحصول على الغنائم- فقال: «لا أجر له، وكرر ذلك ثلاث مرات»[٢].

٤- القول بأن الفتوحات الإسلامية كانت توسعات استعمارية ذات طابع اقتصادى يعد عملية إسقاط لما فعله الاستعمار الغربى بالبلاد الإسلامية فى العصر الحديث على فتوحات المسلمين فى السابق. وبينهما

---

(١) راجع: سير توماس أرنولد (Sir Thomas W.Arnold) الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن إبراهيم وآخرين- مكتبة النهضة المصرية ص٧٩، ٨٠.

(٢) راجع: محمد الغزالى: مائة سؤال عن الإسلام ج٢ ص٩٢ وما بعدها- دار ثابت ١٩٨٤م.

فرق شاسع. ونضرب هنا مثالاً واحدًا فقط من بين أمثلة عديدة تبين لنا انتفاء الجانب الاستعمارى الاقتصادى فى الفتوحات الإسلامية. ففى المعاهدة التى أبرمها خالد بن الوليد مع بعض أهالى المدن المجاورة للحيرة سجل فيها نصًا يقول: «**فإن منعناكم (أى قمنا بحمايتكم) فلنا الجزية وإلا فلا**». وقد حدث بالفعل أن قام المسلمون برد الجزية إلى أهل المدن المفتوحة فى الشام حينما شعروا أنهم غير قادرين على توفير الحماية اللازمة لهذه المدن، وكان ذلك فى زمن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب حينما حشد الإمبراطور هرقل جيشًا ضخمًا لحرب المسلمين وشغل المسلمون حينذاك بالمعركة مع جيش الروم. وكتب القائد العربى لأهل هذه المدن قائلاً: «**إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم**»[1].

ثالثًا: ما موقف المسلمين من الحضارات القديمة ومن حريق مكتبة الإسكندرية؟

١ - ليس صحيحًا أن المسلمين لم يكونوا يحترمون الحضارات القديمة. فقد استفادوا مما كان إيجابيًا لدى هذه الحضارات، وترجموا إلى العربية الكثير من الكتب اليونانية والفارسية والهندية وغيرها، وإيمانًا منهم بأن التراث الإنسانى يشتمل على خبرات وتجارب وعلوم الشعوب المختلفة،

(١) راجع: الدعوة إلى الإسلام للسير توماس أرنولد ص٧٩.

وينبغى الاستفادة منه، وقد ورد فى هذا الشأن قول النبى ﷺ: «**الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها**»[1]، ومن المرويات الإسلامية المأثورة: «**اطلبوا العلم ولو فى الصين**»[2] أى اطلبوا العلم حتى ولو كان فى يد من لا يدينون بدينكم، وأيضًا حتى لو كان فى أبعد مكان فى الدنيا. وكانت الصين تعد فى نظر العرب حينذاك أبعد مكان فى الدنيا.

٢- يعبر الفيلسوف المسلم ابن رشد عن الموقف الإسلامى إزاء تراث الحضارات القديمة بقوله: «إن الشرع يوجب الاطّلاع على كتب القدماء ما دام الهدف الذى يقصدون إليه هو ذات المقصد الذى حثنا عليه الشرع، وهو النظر العقلى فى الموجودات وطلب معرفتها واعتبارها» ثم يقول: «ننظر فى الذى قالوه فى ذلك وما أثبتوه فى كتبهم. فما كان منها موافقًا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم»[3].

٢- الحقيقة العلمية والتاريخية تؤكد أن المسلمين لم يحرقوا مكتبة الإسكندرية على الإطلاق. وقد ألصقت بهم هذه التهمة ظلمًا وعدوانًا. وأذاع خصوم المسلمين هذه الإشاعة التى ليس لها أساس على نطاق واسع حتى أصبح الناس يرددونها وكأنها حقيقة مستقرة. وقد انتشرت فى القرن الثالث عشر الميلادى انطلاقًا من روح الحروب الصليبية، ولا تزال تتردد

---

(١) رواه ابن ماجة فى كتاب الزهد.

(٢) انظر كشف الخفاء ج١ ص ١٣٨.

(٣) راجع: فصل المقال لابن رشد ص١٧ (ضمن كتاب: فلسفة ابن رشد). بيروت ١٩٨٢م.

للأسف حتى يومنا هذا رغم أن المحققين من العلماء أثبتوا بطلانها. ومؤدى هذه الإشاعة أن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب قد أمر بإحراق مكتبة الإسكندرية القديمة ونسب إليه القول: «إن كانت هذه الكتب تشتمل على ما هو موجود فى القرآن فلا فائدة منها ولسنا فى حاجة إليها، وإن كان ما فيها يتعارض مع القرآن فلا مفر من إبادتها». وقيل أيضًا: إن العرب المسلمين قد استخدموا هذه الكتب وقودًا للحمامات العامة لمدة ستة أشهر.

٤- لقد بيّنت المستشرقة الألمانية زيجريد هونكه (Sigrid Hunke) فى كتابها (الله مختلف تمامًا..) أن العرب عندما دخلوا الإسكندرية عام ٦٤٢م لم تكن هناك مكتبة فى الإسكندرية، فقد تم إحراقها قبل ذلك بقرون كما أنه لم تكن هناك حمامات عامة، وبيّنت أن المكتبة القديمة الملحقة بالأكاديمية التى أسسها فى الإسكندرية الملك بطليموس الأول سوتر (Soter) حوالى عام ٣٠٠ ق.م قد أحرقت عام ٤٧ ق.م عندما حاصر يوليوس قيصر المدينة. وقد أعادت كليوباترا تشييد المكتبة وزودتها بكتب من برجامون.

٥- شهد القرن الثالث الميلادى بداية التدمير المنظم للمكتبة، فقد عطل القيصر كاراكالا (Caracalla) الأكاديمية. وقام المتحمسون الدينيون بتدمير المكتبة عام ٢٧٢م بوصفها عملاً وثنيًا. وفى عام ٣٩١م استصدر البطريرك تيوفيلوس (Theophilos) من القيصر تيودوسيوس (Theodosios) إذنًا بالموافقة على تدمير الأكاديمية الباقية، وإحراق ما تبقى من المكتبة الملحقة بها، والتى كانت تحوى ثلاثمائة ألف لفافة من لفائف الكتب، وذلك

بهدف إقامة كنيسة ودير بدلاً منها. واستمر التدمير فى القرن الخامس عن طريق الإغارة على العلماء الوثنيين وعلى أماكن عبادتهم والقيام بتدمير مكتبتهم (١).

ومما تقدم يتضح لنا مدى التزييف المتعمد للتاريخ بهدف تشويه سمعة الإسلام والمسلمين وإظهارهم بمظهر أعداء العلم والحضارة. وهم بريئون من كل ذلك تمامًا.

رابعًا: ما حقيقة الجهاد فى الإسلام؟

١ - لقد شاع فى اللغات الأجنبية ترجمة مصطلح الجهاد بالحرب المقدسة، والإسلام لا يعرف مصطلح الحرب المقدسة. فهناك فقط حرب مشروعة وحرب غير مشروعة. وقد أسيء فهم مصطلح الجهاد فى غالب الأحيان. فالجهاد معناه بذل الجهد. ومن هنا فهو ينقسم إلى قسمين أحدهما: جهاد النفس، وثانيهما: الجهاد بمعنى الحرب المشروعة. ومن المعروف فى الإسلام أن النوع الأول يطلق عليه الجهاد الأكبر الذى ينصب على محاربة الإنسان لنوازعه الشريرة، والتغلب على أهوائه، وتصفية نفسه من كل الصفات الذميمة، وتطهيرها من الحقد والحسد والكراهية للآخرين، وبذلك يكون أهلاً للقرب من الله -سبحانه وتعالى. أما النوع الثانى من الجهاد فيطلق عليه الجهاد الأصغر بمعنى الحرب المشروعة.

---

(1) Sigrid Hunke: Allah ist ganz anders.P.85-90.

راجع أيضًا كتابنا: الإسلام فى مرآة الفكر الغربى ص ١٠٠ وما بعدها.

٢- الحرب المشروعة فى الإسلام أو «الجهاد» هى حرب دفاعية هدفها رد العدوان فقط. وآيات القرآن واضحة فى هذا الشأن. فقد أذن الله للمسلمين بقتال أعدائهم الذين اعتدوا عليهم فى قول القرآن: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ [الحج: ٣٩]، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وهذا يبين لنا أنه على الرغم من الإذن بالقتال دفاعًا عن النفس فإن القرآن يحذر من مجاوزة الحد فى ذلك إلى الاعتداء. فالله لا يحب المعتدين.

وكراهية الإسلام للقتال وإراقة الدماء تعد موقفًا مبدئيًا. فالاستثناء إذن هو القتال لرد العدوان: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. فالبدء بالعدوان على الآخرين أمر مرفوض إسلاميًا. وليس له سند فى الإسلام.

٣- وإذا كان الجهاد يعنى الحرب الدفاعية فإن ذلك لا يقتصر على القتال، فقد يكون الجهاد بالمال أو بالنفس أو بالفكر أو بأى وسيلة أخرى تساعد على رد العدوان فى كل أشكاله وصوره. والهدف هو حماية المجتمع الإسلامى والدفاع عنه وعن عقيدته التى يؤمن بها، وهذا حق مشروع لكل أمة من الأمم وتؤكده المواثيق الدولية فى العصر الحديث.

٤- إذا وجد المسلمون لدى عدوهم رغبة فى السلم ووقف العدوان فالإسلام يأمرهم أن يردوا على ذلك بالإيجاب: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]. والإسلام فضلاً عن ذلك يدعو إلى

التعايش السلمى مع الآخرين، وإقامة علاقات طيبة معهم ما داموا لا يعتدون على المسلمين، وهنا نجد القرآن الكريم يحث المسلمين على التعامل معهم على أساس من العدل والإنصاف والبر والإحسان: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، وهذا يبيّن لنا أن هدف الإسلام هو نشر السلام والتسامح بين الناس، والتعاون فيما بينهم من أجل خير الإنسان وسعادته واستقراره.

ومن هنا فإن ما تروجه بعض وسائل الإعلام العالمية من أن الإسلام دين يحض على العدوان والتطرف والتعصب والقتل والإرهاب افتراء ظالم لا أساس له فى تعاليم الإسلام، فالإسلام على النقيض من ذلك تمامًا، إنه دين الرحمة والسلام. وسنزيد هذه النقطة إيضاحًا فى الفقرتين التاليتين:

خامسًا: هل الإسلام يدعو إلى التطرف والعنف؟

١ - الإسلام دين الرحمة والتسامح، يدعو إلى العدل والسلام ويصون حرية الإنسان وكرامته. وهذه ليست مجرد شعارات يرفعها الإسلام، وإنما هى مبادئ أساسية راسخة قام عليها بنيان الإسلام. فقد أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] - كما ورد ذلك فى القرآن الكريم. ووصف النبى رسالته بقوله: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[(١)]، ومنح الإسلامُ الإنسانَ حرية الاختيار حتى فى أمور الاعتقاد: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. والدعوة

(١) رواه البخارى فى كتاب الأدب المفرد.

إلى الإسلام تقوم على الإقناع بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى لا على الإكراه والإرغام. كما أمر الإسلام بالعدل والإحسان، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى والإفساد فى الأرض[1]، ودعا إلى مقابلة السيئة بالحسنة[2]، وقد عفا النبى ﷺ عن أهل مكة عند فتحها رغم كل الذى صنعوه معه ومع أصحابه من الظلم والاضطهاد والقتل والتعذيب، وقال لهم: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»**.

٢- وهناك تطابق تام بين الإسلام والسلام. فكلمة الإسلام مشتقة من الأصل ذاته الذى اشتق منه لفظ السلام. وقد وصف الله نفسه فى القرآن الكريم بأنه السلام. وتحية المسلمين هى السلام تذكيراً لهم باستمرار بأن السلام هدف رئيسى لا ينبغى أن يغيب عن الأذهان، والمسلم يتجه فى نهاية صلاته كل يوم خمس مرات بتحية الإسلام إلى نصف العالم ناحية اليمين ثم بعد ذلك إلى النصف الآخر ناحية الشمال، الأمر الذى يرمز إلى توجه المسلمين بأمنيات السلام للعالم كله.

٣- ومن كل ذلك يتضح الطابع السلمى للإسلام، فليس هناك مكان فى هذا الدين للعنف أو التشدد، أو التعصب أو التطرف، أو القهر والإرهاب وترويع الآمنين، أو الاعتداء على حياتهم وممتلكاتهم. فمقاصد الشريعة الإسلامية تتمثل فى حماية الحقوق الأساسية للإنسان، وبصفة خاصة حماية حياته ودينه وعقله وأسرته وممتلكاته. ومن هنا حرّم الإسلام الاعتداء على الآخرين بأى شكل من الأشكال لدرجة أنه جعل الاعتداء

(١) النحل: ٩٠.

(٢) فصلت: ٣٤.

على فرد واحد من أفراد الإنسانية كأنه اعتداء على البشرية كلها: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. فكل فرد يمثل الإنسانية فى شخصه. وهذه الإنسانية التى يحرص الإسلام على حمايتها تتمثل فى احترام كل فرد بشرى للآخر: احترام حريته وكرامته وحقوقه الإنسانية العامة، وقد ورد فى الحديث الشريف: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[(١)]، كما جاء فى حديث آخر: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا**»[(٢)]، كما دعا الإسلام إلى التعايش السلمى بين الشعوب وإلى معاملة غير المسلمين بالعدل والإنصاف - كما يقول القرآن الكريم - ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

٤- ومسئولية الحفاظ على أمن المواطنين واستقرارهم تعد مسئولية مشتركة بين الناس جميعًا، وتحمُّل هذه المسئولية هو السبيل إلى الاستقرار والأمن فى مواجهة أخطار الفساد والإفساد. فنحن جميعًا- كما جاء فى حديث شريف-: «**مثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»[(٣)].

(١) رواه الإمام مسلم فى كتاب البر.
(٢) رواه أبو داود فى كتاب الأدب.
(٣) رواه البخارى فى كتاب الشركة.

سادسًا: ما موقف الإسلام من التعصب والإرهاب؟

١- الإسلام دين لا يعرف التعصب على الإطلاق، وبالتالى فإنه لا يدعو أتباعه إلى التعصب. ومصادر الإسلام فى القرآن والسنة لا تشتمل على شىء من هذا القبيل.

فالدعوة إلى الإسلام- كما يشير القرآن الكريم- تقوم على أساس من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى. وهذه الأساليب بعيدة تمامًا عن كل شكل من أشكال التعصب. ومن هنا رأينا النبى ﷺ يقول لكفار مكة بعد رفضهم دعوته لهم إلى الإسلام: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

٢- أما ما يتصل بالأديان السماوية السابقة فإن الإسلام يعتبر الإيمان بأنبياء الله السابقين على محمد ﷺ عنصرًا أساسيًا من عقيدة المسلم. وهذا ما يشير إليه القرآن فى وضوح تام: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]. فالموقف الإسلامى إزاء الأنبياء جميعًا هو عدم التفريق بين أحد منهم، وتلك صورة فى التسامح الدينى لا مثيل لها لدى أتباع أى دين من الأديان. فهل هناك مجال للتعصب بأى شكل من الأشكال فى تعاليم دين بهذا الوصف؟

٣- يدعو الإسلام الناس جميعًا إلى التآلف والتعارف رغم الاختلافات التى بينهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]. كما يدعو الإسلام المسلمين فى صراحة

ووضوح إلى التعايش السلمى مع غير المسلمين، كما جاء فى القرآن الكريم: ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

٤- الإسلام دين يدعو إلى الصفح والعفو ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ويدعو إلى مقابلة الإساءة بالإحسان على أمل أن ينقلب العدو إلى صديق، كما يقول القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

٥- فى حديث للنبى ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفِّروا»[1]، وهذه دعوة إلى نبذ التعصب؛ لأن التنفير ينطلق من منطلق التعصب، أما التبشير فينطلق من منطلق التسامح. وإذا كان الإسلام يرفض التعصب فإنه بالتالى يرفض الإرهاب والتطرف وترويع الآمنين وقتل الآخرين، بل يعتبر الإسلام الاعتداء على فرد واحد كأنه اعتداء على البشرية كلها: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢].

٦- من ذلك يتضح أن إلصاق تهمة التعصب بالإسلام لا تقوم على أساس، وليس لها أى سند من تعاليم الإسلام، وإذا كان بين المسلمين بعض المتعصبين أو المتطرفين أو الإرهابيين فلا يرجع ذلك بأى حال من الأحوال إلى تعاليم الإسلام، وإنما يرجع إلى فهم خاطئ وتأويل باطل

(١) متفق عليه.

لتعاليم الإسلام. والإسلام لا يتحمل وزر ذلك، وينبغى التفريق بين التعاليم السمحة للإسلام وبين السلوكيات الخاطئة لبعض المسلمين. ومن ناحية أخرى نجد أن التعصب موجود لدى بعض الجماعات فى كل الأديان، والإرهاب أصبح ظاهرة عالمية لا يختص بها أتباع دين معين دون بقية الأديان، وهذه حقيقة ماثلة أمام أعين الجميع فى عالمنا المعاصر. فهل الإسلام هو الذى أفرز هذه الظاهرة العالمية بين أتباع جميع الأديان؟!

***